

أضواء البيان

@ 186 @ العذاب قبلاً فأرادته به ذلك مانعة من خلاف المراد . لاستحالة أن يقع خلاف مراده جل وعلا . بخلاف المانع (في آية بني إسرائيل) هذه ، فهو مانع عادي يصح تخلفه . وقد أوضحنا هذه المسألة في كتابنا (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) . قوله تعالى : { قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَسْمِعُونَ مَطْمَئِنَّةً لِّلنَّازِلِينَ } . بين جل وعلا في هذه الآية : أن الرسول يلزم أن يكون من جنس المرسل إليهم . فلو كان مرسلًا رسولاً إلى الملائكة لنزل عليهم ملكاً مثلهم . أي وإذا أرسل إلى البشر أرسل لهم بشراً مثلهم . .

وقد أوضح هذا المعنى في مواضع أخر . كقوله : { وَقَالُوا لَوْ لَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَ لَّسْقُطًا مِّنَ السَّمَاءِ } . لا يُنظَرُونَ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلِلَّائِسِينَ عَلَيْهِمْ مَّسًا يَلْبِسُونَ } . وقوله : { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوْحِي إِلَيْهِمْ } . وقوله : { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا } . قوله تعالى : { أَوَلَمْ يَرْوُوا أَنَ اللَّامِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ } . بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن من خلق السموات والأرض مع عظمها قادر على بعث الإنسان بلا شك . لأن من خلق الأعظم الأكبر فهو على خلق الأصغر قادر بلا شك . .

وأوضح هذا المعنى في مواضع أخر . كقوله : { لَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } . أكبر من خَلَقَ النَّاسِ { ، أي ومن قدر على خلق الأكبر فهو قادر على خلق الأصغر . وقوله : { أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ } . وقوله : { أَوَلَمْ يَرْوُوا أَنَ اللَّامِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَخْلُقْ هِنَ } . وقوله : { أَعَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لِّلْكُمْ وَلَا زَعَامِكُمْ } . قوله تعالى : { قُلْ لَّوْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأُمْسِكَنَّكُمْ خَشْيَةً إِلَّا نَفَاقٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا } .

بين تعالى في هذه الآية : أن بني آدم لو كانوا يملكون خزائن رحمة أي خزائن الأرزاق
والنعم ليدخلوا بالرزق على غيرهم ، ولأمسكوا عن الإعطاء . خوفاً من الإنفاق لشدة بخلهم .